القيادات الانعزالية في اكثر من مناسبة) واختل التوازن بمعناه « غير التقليدي » ، اي على مستوى الصراع الحزبي والسياسي والوطني ، لصالح القوى اليسارية والناصرية والوحدوية (كما تقول هذه القيادات نفسها في مجالات اخرى ، وفي تناقض واضح يدل على مدى تفاقم الازمة الايديولوجية المكملة للازمة السياسية النابعة من طبيعة البورجوازية الحاكمة وتبعيتها للامبريالية) .

اختلال التركيبة الطائفية

وفي دراسة من دراسات لجنة الكسليك ، التي صدرت تباعاً بشأن تفسير الاحداث اللبنانية وبرامج الهيئات والاحزاب الانعزالية ، نقرأ ما يلي[١٤] :« لولا الدعم السوري للمقاومة الفلسطينية في لبنان منذ قيامها ، من المرجح ان لا تكون المنظمات الفلسطينية قد وفقت الى الوصول الى ما صارت اليه ، على الرغم من المساندة الاسلامية المحلية التي بلغت أقصى حدودها . ولولا هذا الدعم لما كانت هذه الحرب ولما كان نشوبها ممكناً . وكانت سوريا فيها طرفاًقبل نشوبها . فكم من مرة أشير الى تواطؤ السوريين مع الفلسطينيين ومع اليسار والاسلام اللبنانيين ... » .

هذا الاتهام الجماعي ، لسوريا والفلسطينيين واليسار والمسلمين ، انما هو تعبير عن عمق الازمة التي عاشها النهج الانعزالي ، بما هو « مشروع » قائم بذاته وبما هو جزء من نهج الرجعية الحاكمة وغير الحاكمة . واذا برموزه ومسؤولي دعايته يخبطون خبط عشواء ، في بعض الأحيان ، رغم مهارتهم التقنية ورغم قدرتهم على تكييف نشاطهم الاعلامي وفقاً للظروف المستجدة .

ويبدو أن هذه الفئة الاكثر تطرفاً من ممثلي البورجوازية السياسيين والحزبيين (وهي الفئة التي احتكمت الى السلاح ، بالضبط ، كوسيلة للخلاص من هذا العجز وكأسلوب انتحاري لحل الازمة البنيوية للبورجوازية اللبنانية) قد عجزت أيضاً عن فهم مجريات التطور في لبنان والمنطقة في أواخر الستينات . ولم تفهم معنى وأسباب اتساع المعارضة (الشعبية والطبقية والوطنية هذه المرة) للنهج الانعزالي والفئوي ، ولم تفهم معنى وأسباب التجذّر التدريجي في الحركة الشعبية اللبنانية ، وهو ما أسهم في اختلال التوازن الطائفي التقليدي وأخذ يدفع في اتجاه توازن وطني ـ طبقي .

ومن أبرز عوامل هذا « التفكك والاختلال » في التركيبة الطائفية ، ما شهدته المنطقتان كلاهما (المنطقة المسيحية والمنطقة الاسلامية اذا اقتبسنا التعبير الطائفي الرجعي) من تحول ونمو . فقد أدى التطور الصناعي النسبي في النصف الثاني من الستينات (وهذا لا مجال للتوسع به في نطاق هذا البحث) الى قيام تجمعات صناعية وحرفية ضمت عشرات الألوف من العمال اللبنانيين المسيحيين ، خصوصاً في المنطقة الممتدة من نهر بيروت وسن الفيل والمكلس الى ضبية ونهر الكلب وانحاء المتن الشمالي وكسروان وجبيل ، الى جانب الألوف من العمال والمستخدمين من شيعة بعلبك وعرب المسلخ والاقليات المسيحية ، والألوف من الفلسطينيين والسوريين الذين عملوا في المصانع والمؤسسات ولا سيما في مرفأ بيروت ومنطقة الدكوانة ـ تل الزعتر . وادى النزوح المسيحي المتزايد من الجبل وزحلة والشمال الى « حزام البؤس » المحيط